



محمد علي  
الأتاسي

## "ما أنا إلا فاتح باب صغير من الأسوار عسى الزمان يوسّعه" عن صناعة الاستبداد في فكر الكواكبي

التشكيليين والأساتذة الجامعيين... إلخ. فقد ظلت تطغى على الممارسة الفكرية في ذلك العصر مهن من مثل الكاتب الصحفي، التي أقبل عليها، هو والكثير من أقرانه، في ذلك الزمن. لكن عدم تبلور مفهوم "المثقف" وغياب هذه التسمية عن مجال التداول في فضاء الفكر العربي الآخذ في التشكل في تلك الفترة، لا يعني بتاتا أن الكواكبي وبعض أقرانه في لبنان ومصر، لم يكن لديهم على صعيد الممارسة الفكرية الكثير من المواقف والآراء النقدية في مواجهة السلطات الحاكمة، والتي نالوا جزءها الكثير من الويلات، وأسسوا من خلالها لدور المثقف قبل أن يولد هذا المفهوم ويتبلور في وعي الأجيال المقبلة ولغتها.

تنبع أهمية الكواكبي أساساً في هذا المجال من أمرين اثنين: أولاً، قرن الكواكبي في شخصه القول بالعمل، وترافقت أبحاثه الفكرية مع مواقفه السياسية الجريئة في مواجهة استبداد السلطان عبد الحميد وظلم ولاته الفاسدين، وظل مسكوناً إلى آخر يوم في حياته بالهم العام. وقد تحمل الكواكبي في سبيل ذلك الكثير من الظلم والتنكيل، دون أن يثنيه شيء عن قول كلمة الحق في وجه السلطان الجائر. فكل الصحف التي أنشأها الكواكبي تم إغلاقها، وجرت محاربه في لقمة عيشه، وابتعد عن شغل الوظائف الرسمية وصودرت أملاكه، وحوكم مرات عدة، وحكم عليه مرة بالإعدام قبل أن يبرأ في الاستئناف أمام محكمة بيروت، وتعرض إلى محاولة اغتيال بطعنة خنجر أثناء عودته ليلاً إلى البيت، ونجا بأعجوبة وقرر على أثرها ترك مدينة حلب والرحيل إلى مصر في العام 1900.

ثانياً، كان الكواكبي سباقاً على صعيد الممارسة الفكرية في بلورة مفهوم الاستبداد في الفكر العربي، وتحليل آليات اشتغاله واستشراف الطرائق الممكنة للتخلص منه. كأنه في هذا قد أسس لمفهوم المثقف بالتضاد والنفي، من خلال بلورته لمفهوم الاستبداد، الذي بالصراع مع مدلولاته على أرض الواقع، سيتبلور وينشأ لاحقاً مفهوم المثقف. وإذا كان الكواكبي لم يذكر، ولا مرة واحدة، كلمة "ديموقراطية" في معرض كتابه عن الاستبداد (وهذا أمر مفهوم لأن هذا المصطلح كان خارج مجال التداول في الحقل المعرفي الذي انوجد فيه الكواكبي في ذلك الزمن)، فإنه ظل مع ذلك مسكوناً بهموم، من مثل الحرية والعدل والترقي والمنفعة العامة وتوعية العوام والشورى الدستورية والحكومة المقيدة الصلاحية.

أضف إلى ذلك، أن الكواكبي كان لديه وعي مبكر لأهمية المعرفة الاجتماعية والدور الذي يمكن أن يلعبه حاملها، أو ما نسميه اليوم بالمثقف، في مواجهة الاستبداد. فالكواكبي يدرك أن "المستبد لا يخشى علوم اللغة، تلك العلوم التي بعضها يقوم اللسان وأكثرها هزل وهذيان يضيع به الزمان"، كما أن المستبد لا يخاف العلوم الدينية "المتعلقة بالمعاد المختصة ما بين الإنسان وربّه، لاعتقاده أنها لا ترفع غباوة ولا تزل غشاوة"، وهو "لا يخاف من العلوم الصناعية محضاً لأن أهلها يكونون مسالمين صغار النفوس، صغار الهمم، يشترتهم المستبد بقليل من المال والإعزاز".

ما يخيف المستبد هو ما يمكن أن نسميه اليوم بالعلوم الإنسانية في حال وجدت طريقها إلى الناس، يقول الكواكبي: "ترتد فرائض المستبد من علوم الحياة مثل الحكمة النظرية، والفلسفة العقلية، وحقوق الأمم وطبائع الاجتماع، والسياسة المدنية، والتاريخ المفصل، والخطابة الأدبية، ونحو ذلك من العلوم التي تكبر النفوس وتوسع العقول وتعريف الإنسان ما هي حقوقه وكم هو مغبون فيها، وكيف الطلب، وكيف النوال، وكيف الحفظ. وأخوف ما يخاف المستبد من أصحاب هذه العلوم المنفذين منهم لتعليم الناس بالخطابة أو الكتابة".

### لماذا الاستبداد؟

يعرّف الكواكبي الاستبداد السياسي بأنه "تصرف فرد أو جمع في حقوق قوم بالمشيئة ولا خوف تبعه"، وهو "الحكومة التي يوجد بينها وبين الأمة رابطة معينة معلومة مصنونة بقانون نافذ الحكم". وإذا كان سؤال لماذا تقدم الغرب وتأخر الشرق، ظل في صميم تفكير رواد النهضة العربية منذ أواخر القرن التاسع عشر، فإن الكواكبي لا يخفي، منذ مقدمة "طبائع الاستبداد"، أن كتابه

في العام 1901 طبع في القاهرة كتاب يحمل عنوان "طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد" لمؤلف مجهول الهوية أسمه "الرحالة كاف". نفذت الطبعة الأولى سريعاً، ولم تمض أكثر من سنة حتى توفي صاحب الكتاب كاشفاً عن اسمه الحقيقي، فإذا به المفكر النهضوي عبد الرحمن الكواكبي، الذي هجر مدينته الأم حلب إلى القاهرة، اتقاء لبطش السلطان عبد الحميد، وتوفى فيها بعد سنتين وهو لم يتجاوز 52 عاماً. وإذا كان كتاب "طبائع الاستبداد" يحمل في مضمونه الكثير من عواهن ولادة الفكر النهضوي العربي في ذلك الزمن، فإنه، وبعد أكثر من قرن على صدوره، لا يزال الأقرب إلينا من حيث راهنية بعض الأسئلة المتضمنة بين دفتيه، لا سيما قدرته على مقاربة آليات عمل الاستبداد في المجتمع وكيفية صناعة المستبد من لدن فساد البطانة وتزلف علماء الدين والجهل المتفشي بين الناس. لذا، لم يكن غريباً، بعد قرن من الزمن، أن يتضمن تقرير "التنمية الإنسانية العربية" الثاني، الذي نشره برنامج الأمم المتحدة الإنمائي والصندوق العربي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية في العام 2003 وشارك في إعداده 30 مفكراً عربياً، مقاطع عدة تستشهد بفقرات من كتاب "طبائع الاستبداد" للكواكبي.

أن يكون الكواكبي معاصراً لنا في بعض أفكاره حول الاستبداد، لا يعني أن ننع، في تعاملنا مع كتاباته، في مطب القراءة التراثية التبجيلية واللاتاريخية، التي تضفي على نصوص من سبقنا هالة نوستالجية من التقديس والانبهار، وتتغاضى عن القواطع المعرفية التي من المفترض أنها باتت تفصلنا عن طرائق التفكير وآلياته في ذلك الزمن. لكن هذا لا يمنعنا من أن نلاحظ كيف أن راهنية أفكار الكواكبي في شأن الاستبداد تنبع أساساً من قدرة هذا الاستبداد على إعادة إنتاج نفسه، في أشكال مختلفة، في بناها السياسية والثقافية والاجتماعية عبر تاريخنا الطويل، من دون أن تتوافر لنا القدرة الحقيقية على التصدي له والحد من جبروته وخلق التوازنات الكفيلة رده، حتى لا نقول استئصاله.

أن يكون الكواكبي معاصراً لنا في بعض أفكاره، يعني أن نكون قادرين على قراءته أساساً داخل زمانه ومكانه المحددين وضمن الفضاء الفكري الذي ينتمي إليه، ويتشكل من لغة وأفكار ورجال، وقد أصطلح على تسميته بـ"عصر النهضة العربية" في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وتزامن مع أفول الأمبراطورية العثمانية وبداية الاحتكاك الفعلي مع الحداثة الأوروبية في وجهها المتناقضين والمتكاملين، كهيمنة استعمارية وكأفكار تنويرية. ولأن الكواكبي محكوم بهذا السقف، فسندج في أفكاره الكثير من المثالب التي ولدت في فكر تلك المرحلة، ولا يزال الكثير منها، للأسف، حاضراً وفعالاً في فكرنا العربي المعاصر، من مثل خلط الحقائق العلمية بالحقائق الدينية والبحث داخل القرآن عن دلائل إعجازه العلمي وتصوير دولة الخلافة الراشدية على أنها مثال الحكومة الصالحة لكل زمان ومكان، والقول بثنائية الشرق والغرب واختصارها في خصائص جوهرية كلانية خارج إطار مسار التطور والتاريخ والجغرافيا. عدا أن هذا كله لا يمنعنا من تلمس الجديد والخلاق الذي أتى به وأسس له هذا المصلح الكبير.

### ولادة المثقف

لم تكن الثقافة العربية في زمن الكواكبي، قد شهدت بعد ولادة تسمية "المثقف" في معناها الحديث، والتي دخلت إلى لغتنا وفكرنا العربيين من الغرب على مراحل متتالية ومتداخلة، بدءاً من ترجمات مفكري التنوير والاحتكاك بقضية درايفوس واميل زولا، مروراً بجان بول سارتر ومواقف المثقفين الفرنسيين من حرب الجزائر وترجمات الفكر الماركسي وولادة الأحزاب القومية والاشتراكية وحروب الاستقلال وظهور السلطات الوطنية وتحولها شيئاً فشيئاً إلى سلطات قمعية بامتياز وصولاً إلى هزيمة حزيران 1967، وما رافق ذلك من خضات عميقة على مستوى الثقافة والمثقفين.

لا بل أن عصر الكواكبي، لم يكن قد عرف بعد ولادة مهن وأجناس أدبية وفكرية، مكرسة ومعترف بها ومرتبطة ارتباطاً مباشراً بمفهوم "المثقف" ودوره، في المعنى الحديث، من مثل الروائيين والمسرحيين والنقاد الأدبيين والسينمائيين والفنانين

كثيراً ما يستحضر المفكر النهضوي عبد الرحمن الكواكبي، في حاضرتنا الراهن، كواحد من رواد حركة الإصلاح الديني في نهاية القرن التاسع عشر. في المقابل، يغيب الجانب الآخر من الكواكبي المرتبط بالدور الأول الذي لعبه هذا المفكر التنويري في التأسيس لمفهوم الاستبداد وفي مقارنته بالكلمة والموقف الحازم. مدعاة الغرابة في هذين الغياب والتغيب، أن معاناة مجتمعاتنا مع الاستبداد، في المشرق العربي خصوصاً والعالم العربي عموماً، زادت وطأة وشدة على مدى القرن الذي يفصلنا عن الكواكبي، في حين زاد افتقارنا لمفكرين من طراز هذا المصلح الكبير وجرأته. كل الخوف أن يكون الاستبداد قد نجح في أن يصير فينا طبيعة ثانية، حتى بتنا نفضل أن ندفن فكر الكواكبي على رفوف المكتبات التراثية بدلاً من أن نتعامل بوعي ويقظة مع الجرعة العالية من الجرأة والنقد والتحدي التي تتضمنها كتاباته. هنا محاولة للإضاءة على بعض جوانب فكر الكواكبي المنسية.



هؤلاء هم أشقى خلق الله، لكنه يخاف أيضاً من رعيته ف"خوف المستبد من رعيته أكثر من خوفهم من بأسه، لأن خوفه ينشأ عن علمه بما يستحقه منهم، وخوفهم ناشئ عن جهل، وخوفه عن عجز حقيقي فيه، وخوفهم عن توهم التخاضل فقط".

وأشد ما يخاف المستبد منه هم الذين يفوقونه علماً ومعرفة. يقول الكواكبي: "كما يبغض المستبد العلم لتناججه يبغضه أيضاً لذاته لأن للعلم سلطاناً أقوى من كل سلطان، فلا بد للمستبد من أن يستحق نفسه كلما وقعت عينه على من هو أرقى منه علماً. ولذلك لا يحب المستبد أن يرى وجه عالم عاقل يفوق عليه فكراً، فإذا اضطر لمثل الطبيب والمهندس يختار الغبي المتصاغر المتملق".

ولأن المستبد يخاف فإنه يزرع الخوف في كل من حوله مداراة لخوفه الذي غالباً ما ينتهي به إلى جنون العظمة هرباً من مواجهة الحقائق، ف"كلما زاد خوفه من رعيته وحتى من حاشيته، وحتى من هواجسه وخيالاته. وأكثر ما تختتم حياة المستبد بالجنون التام".

يستعير الكواكبي مما يسميه "أحد المحررين السياسيين" تشبيهاً بليغاً ما أشدنا اليوم حاجة إليه، حيث طغى الاستبداد وتجر، وبنى لنفسه جمهوريات للخوف، وإن سميت بمسميات أخرى كالجمهوريات الوراثية أو العظمى: "إنني أرى قصر المستبد في كل زمان هو هيكل الخوف عينه: فالملك الجبار هو المعبود، وأعوانه هم الكهنة، ومكتبته هي المذبح المقدس، والأقلام هم السكاكين، وعبارات التعظيم هي الصلوات، والناس هم الأسرى الذين يقدمون قرابين الخوف. وهو (أي الخوف) أهم النواميس الطبيعية في الإنسان، والإنسان يقرب من الكمال في نسبة ابتعاده عن الخوف، ولا وسيلة لتخفيف الخوف أو نفيه إلا العلم بحقيقة المخيف منه، لينكشف للإنسان أن لا محل فيه للخوف منه، وهكذا إذا زاد علم أفراد الرعية بأن المستبد امرؤ عاجز مثلهم زال خوفهم منه وتقاضوه حقوقهم".

من هنا فإن الخوف هو لبنة الاستبداد الرئيسية، في يومنا هذا كما في زمن الكواكبي، وإزاحة حاجز الخوف عن صدور الناس هو الوسيلة الأنجع لهمدم هيكل الاستبداد والانتقال بهم من طور الرعية والعوام إلى طور المواطنة والشعب. لكن ما هي الطرق التي يقترحها الكواكبي لكسر شوكة الاستبداد؟

### الخلاص من الاستبداد

صاغ عبد الرحمن الكواكبي قبل قرن من الزمن سبل الخلاص من الاستبداد، وأوجزها في نقاط ثلاث لا تزال إلى يومنا هذا تحتفظ بالكثير من راهنتها:

أولاً، "الأمة التي لا تشعر كلها أو أكثرها بالآلام الاستبداد لا تستحق الحرية". فالوعي بحقيقة الاستبداد وبضرورة التغيير، شرط أساسي للمضي قدماً في رفع الاستبداد. وإلا فإن الناس، غير الواعين لأهمية الحرية، إذا ثاروا انتقاماً من المستبد لا طلباً للخلاص من المستبد، فإنهم قد يستبدلونه بمستبد آخر، ويستبدلون مرضاً مزمناً بمرض حاد آخر، على قول الكواكبي.

ثانياً، "الاستبداد لا يقاوم بالشدة إنما يقاوم بالحكمة والتدرج". فالكواكبي يعي ضرورة أن لا يقاوم الاستبداد بالعنف، لأن هذا يمكن أن يؤدي إلى فتنة. كما أن إقناع الناس بأهمية التغيير وبضرورة مغادرة صمتهم ولا فاعليتهم يحتاج إلى ثقة ووقت طويل. من هنا أهمية أن يتم التغيير سلمياً وبالتدرج.

ثالثاً، "يجب قبل مقاومة الاستبداد تهيئة ماذا يستبدل به الاستبداد". فمعرفة الغاية، لدى الكواكبي، شرط طبيعي للإقدام على كل عمل. من هنا لا بد أن يكون البديل واضحاً وموافقاً لرأي الأكثرية، وفقاً للكواكبي.

وبعد، قد يكون غاب عن الكواكبي الكثير من القضايا البيئية لدراسة الاستبداد وفهمه وتهيئة الظروف الكفيلة للخلاص منه. لكن يكفي هذا المصالح الكبير أنه قرن القول بالفعل، وكان أول من شرّح الاستبداد في فكرنا العربي، وأول من خرج عليه خروجاً واعياً، نال نتيجته الكثير من الظلم والعسف.

يقول الكواكبي: "فما أنا إلا فاتح باب صغير من أسوار الاستبداد. عسى الزمان يوسعه، والله ولي المهتمين". وإذا كان الكواكبي هو في النهاية ابن زمانه ومكانه، فإن الاستبداد والظلم هما ابنا كل زمان ومكان، من هنا أهمية أن تؤسس على ما أتى به الكواكبي وأن تكمل توسيع الأبواب التي أحدثها، هو وجيله، في أسوار الاستبداد ■

المراتب بالطريقة المعكوسة وهي أن يكون أسفلهم طباعاً وخصالاً أعلاهم وظيفة وقرباً، ولهذا لا بد أن يكون الوزير الأعظم للمستبد هو اللئيم الأعظم للأمة".

النتيجة التي يخلص إليها الكواكبي هي أن لا أمل يرتجى للتخلص من الاستبداد من طريق الحاشية والأعوان لأن "وزير المستبد هو وزير المستبد، لا وزير الأمة كما في الحكومات الدستورية. كذلك القائد يحمل سيف المستبد ليغمده في رقاب العباد بأمر المستبد لا بأمر الأمة... فكيف يجوز تصديق الوزير والعامل الكبير الذي قد ألف عمراً طويلاً لذة البذخ وعزة الجبروت في أن يرضى بالدخول تحت حكم الأمة ويخاطر بعرض سيفه عليها فتحله أو تكسره تحت أرجلها".

أما من جهة ما يسميه الكواكبي بلغة عصره "العوام"، فإن المفكر الإصلاحى لا يقل بأساً في نقده لجهلهم وخوفهم اللذين يشكلان في رأيه أهم دعائم الاستبداد. فالعوام "هم قوّة المستبد وقوته. بهم عليهم يصل ويطول. بأسرهم، فيتهللون لشوكته، ويغضب أموالهم، فيحمدونه على إبقائه حياتهم". عدا أن الكواكبي لا يألو جهداً وأملاً في الوصول



المستبد، لمنصور المبر.

إلى توعية "العوام"، لأن الخلاص هو في الأساس خلاصهم ولأنه لا يكون إلا من طريقهم، فالعوام هم "أولئك الذين إذا جهلوا خافوا، وإذا خافوا استسلموا، كما أنهم هم الذين متى علموا قالوا ومتى قالوا فعلوا". من هنا لا يرى الكواكبي مخرجاً لإزاحة حاجز الخوف من قلوب العوام وكسر التواطؤ القسري الذي يربطهم بالاستبداد ويقوي شوكته، بغير التوعية ونشر العلم: "العوام يذبحون أنفسهم بأيديهم بسبب الخوف الناشئ عن الجهل والغباوة، فإذا ارتفع الجهل وتنور العقل زال الخوف، وأصبح الناس لا ينقادون طبعاً لغير منافعهم كما قيل: العاقل لا يخدم غير نفسه، وعند ذلك لا بد للمستبد من الاعتزال أو الاعتدال".

### خوف المستبد

في مقابل خوف العوام من المستبد، يبيّن الكواكبي أن أهم الصفات التي يراها في المستبد هي الخوف. فالمستبد يخاف من حاشيته لأن "أكثر ما يبطش بالمستبد حواشيه لأن

هذا يأتي في سياق محاولة الإجابة عن السؤال نفسه، وأنه بعد تمحص وبحث وجد أن سبب الانحطاط هو الاستبداد، وأن الخلاص منه لا يكون بغير الشورى الدستورية. يقول الكواكبي: "وجدت أفكار سرارة القوم في مصر كما هي في سائر الشرق خائضة عباب البحث في المسألة الكبرى، أعني المسألة الاجتماعية في الشرق عموماً وفي المسلمين خصوصاً، إنما هم كسائر الباحثين، كل يذهب مذهباً في سبب الانحطاط وفي ما هو الدواء. وحيث أني قد تمحص عندي أن أصل الداء هو الاستبداد السياسي ودواؤه دفعه بالشورى الدستورية".

قول الكواكبي بأن الاستبداد السياسي هو أصل الداء، يدفعه إلى تلمس مفاعيله في مختلف مناحي الحياة الاجتماعية، لذا نراه يتناول علاقة الاستبداد بالدين والعلم والمال والأخلاق والتربية، مع إدراكه التام أن تفشي الاستبداد السياسي يعزز في المجتمع أشكالاً أخرى من الاستبداد كالاستبداد الديني والاستبداد الغني بالفقير والجاهل بصاحب العلم والرجل بالمرأة والقوي بالضعيف.

وعى الكواكبي بالآثار المدمرة للاستبداد، لا يوازيه إلا إدراكه عجز الاستبداد عن إصلاح نفسه بنفسه، فهو إذا لم يواجه، يقود ذاته ومجتمعه إلى التهلكة. يقول الكواكبي في واحدة من عباراته البليغة: "الاستبداد الذي يبلغ في الانحطاط بالأمة إلى غاية أن تموت ويموت هو معها".

من هنا فإن سؤال الاستبداد لدى الكواكبي مرتبط في الصميم بسؤال الترقى والانحطاط الذي لا يزال يشغل الكثير من مفكرينا المعاصرين. وبمعزل عن مدى الدقة والراهنية في الإجابات التي قدمها الكواكبي عن هذا السؤال، فإن استمرار الاستبداد، وإن في أشكال وطرق مختلفة، يبقى سؤال الكواكبي حاضراً بقوة في عصرنا الراهن.

### صناعة المستبد

يرى الكواكبي أنه "ما من مستبد سياسي إلى الآن إلا ويتخذ له صفة قدسية يشارك بها الله أو تعطيه مقام ذي علاقة مع الله. ولا أقل من أن يتخذ بطانة من خدمة الدين يعينونه على ظلم الناس باسم الدين". فالاستبداد السياسي والاستبداد الديني عند الكواكبي صنوان يربطهما السعي إلى إذلال الإنسان. والتداخل بينهما قائم من "أنهما حاكمان أحدهما في مملكة الأجسام والآخر في عالم القلوب".

لكن استعانة المستبد بالدين وإغداقه صفات الألوهية على نفسه، منبعه في الأساس إدراك المستبد الدفين لصغره ووضاعته وحرصه على إخفاء ذلك خلف هالة التقديس وعبارات التبجيل. فمنشأ الاستبداد، لدى الكواكبي، أرضي لا سموي، وصناعة المستبد تقوم في الأساس على طرفين اثنين: فمن جهة هناك الأعوان والحاشية، ومن جهة ثانية هناك ما يسميه العوام وجهلهم.

أما من جهة الأعوان، فإن الكواكبي يدرك أنه لولا وجود الحاشية والقواد ورجال الدين المتزلفين والوزير المستبد لما قامت لاستبداد قائمة. يصف الكواكبي صناعة المستبد بعبارات حادة وجريئة يعجز عنها الكثير من مثقفي عصرنا: "المستبد لحظة جلوسه على عرشه ووضع تاجه الموروث على رأسه يرى نفسه إنساناً فصار إلهاً. ثم يرجع النظر فيرى نفسه في نفس الأمر أعجز من كل عاجز وأنه ما نال إلا بواسطه من حوله من الأعوان، فيرفع نظره إليهم فيسمع لسان حالهم يقول له: ما العرش وما التاج وما الصولجان؟ ما هذه إلا أوهام في أوهام، هل يجعلك هذا الريش في رأسك طاووساً وأنت غراب، أم تظن الأحجار البراقة في تاجك نجوماً ورأسك سماء، أم تتوهم أن زينة صدرك ومنكبيك أخرجتك من كونك قطعة طين من هذه الأرض؟ والله ما مكّنك في هذا المقام أو سلّطك على رقاب الأنام إلا شعوتنا وسحرنا وامتهاننا لدينا ووجداننا وخيانتنا لوطننا وإخواننا! فانظر أيها الصغير المكبر الحقير الموقر كيف تعيش معنا!".

يبتدع الكواكبي في حديثه عن تزلف الحاشية والأعوان مصطلح "التمجد"، وهو أن يصير الفرد "مستبداً صغيراً في كنف المستبد الكبير". فالمستبد "يتخذ المتمجدين سماسرة لتفريغ الأمة". معيار اختيار المستبد للمتمجدين من حوله، هو أن يكونوا أشد ظلماً منه للناس، ترتفع مراتبهم بزيادة وضاعتهم، فكلما "كان المستبد حريصاً على العسف احتاج إلى زيادة جيش المتمجدين العاملين له المحافظين عليه، احتاج إلى مزيد الدقة في اتخاذهم من أسفل المجرمين الذين لا أثر عندهم لدين أو ذمة، واحتاج لحفظ النسبة بينهم في